

من روائع الأنبا غريغوريوس

(٦)

السطحية والعمق مع التطبيق على حياة العذراء

للمتنيح

الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمي

تحمل تكاليف طبع هذا الكتاب
المهندس/ نظير عزيز سعيد

الكتاب : السطحية والعمق.
المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.
إعداد : الإكليريكى منير عطيه.
الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس - دير الأنبا رويس
بالعباسية مصر. ت ٦٨٢٤٩٦٢ - ٤٨٨٢٥٢٢
الغلاف : تصميم الفنان عادل لبيب
المطبعة : شركة الطباعة المصرية العبور ت ٦١٠٠٥٨٩
الجمع : شركة فاين ت: ٤٨٢٤١١٣
رقم الايداع بدار الكتب: ٢٠٠٣/١٩٢٩٧

مقدمة

لنيافة الحبر جزيل الاحترام المتنيح الأنبا غريغوريوس كثير جداً من العظات والمحاضرات فى شتى الموضوعات والمناسبات المختلفة، مسجلة على شرائط كاسيت، وفى أثناء إعدادنا لبعض أعداد من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وجدنا بعض الموضوعات المكملة للموسوعة، لم يتطرق نيافته لها بالكتابة، ولكنه تحدث عنها فى موضوعات وعظات مسجلة على كاسيت، فرأينا تفريغها وضمها إلى الموسوعة.

أما الموضوعات والعظات الأخرى، رأينا أن ننشرها ككتيبات مفردة، كسلسلة جديدة من كتابات نيافته تحت عنوان «من روائع الأنبا غريغوريوس» لتخدم كل قطاعات الشعب القبطى، وتكون فى متناول كل الأيدى، وتصلح للتوزيع فى الحفلات والمناسبات لخدمة مدارس التربية الكنسية والأسر الجامعية.

أرجو أن يصلك هذا الكتيب عزيزى القارىء، فتستفيد به فى أقل زمن ممكن، وفى أى وقت من الأوقات، كوجبة سريعة دسمة تحمل لك كما كبيراً من المعلومات فى مختلف الموضوعات، والله وحده قادر أن يوفقنا ويبارك فى هذا العمل لمجد اسمه القدوس بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث.

الإكليريكى منير عطيه

المظهر والجوهر ـ السطحية والعمق

فى الحياة الدينية

مع تطبيق على حياة العذراء

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. آمين.

نقرأ من الإصحاح الحادى عشر من الإنجيل للقديس لوقا ومن العدد ٣٧ بركاته على جميعنا آمين.

«وفيما هو يتكلم سأله فريسى أن يتغذى عنده، فدخل واتكأ، وأما الفريسى فلما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولا قبل الغذاء. فقال له الرب أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والصحفة وأما باطنكم مملوء اختطافا وخبثا، يا أغبياء أليس الذى صنع الخارج صنع الداخل أيضا، بل اعطوا ما عندكم صدقة، فهوذا كل شئ يكون نقيا لكم. ولكن ويل لكم أيها الفريسيون

لأنكم تعشرون النعنع والسذاب وكل بقل. وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله. كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك. ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول في المجامع والتحيات في الأسواق. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون.

فأجاب واحد من الناموسيين وقال له: يا معلم حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضا، فقال: وويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحمّلون الناس أحمالا عسرة الحمل وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم. ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم. إذا تشهدون وترضون بأعمال آبائكم، لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم. لذلك أيضا قالت حكمة الله أني أرسل إليهم أنبياء ورسلا فيقتلون منهم ويطردون. لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم من دم هابيل إلى دم

زكريا الذى أهلك بين المذبح والبيت. نعم أقول لكم أنه يطلب من هذا الجيل. ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم.

والمجد لله دائما. آمين.

نحن فى عشية اليوم الرابع من شهر مسرى المبارك.

هذا الشهر الذى يبدأ فى اليوم الأول منه الصوم المعروف بصوم العذراء مريم.

وفى السادس عشر من مسرى نحتفل بنهاية صوم العذراء وبعيد صعود جسدها إلى السماء محمولا على أجنحة الملائكة.

فصل الإنجيل الذى قرأناه الآن من الإصحاح الحادى عشر من إنجيل معلمنا لوقا، فيه درس أعطاه السيد المسيح للكتبة والفريسيين وعلماء الناموس أو علماء الشريعة.

وكنيستنا بتلاوة هذا الفصل فى عشية اليوم الرابع من مسرى تريدنا أن نتأمل فى كل عبارة نطق بها المسيح له المجد، وهذا الدرس هو بمناسبة دعوة من أحد الفريسيين لسيدنا يسوع المسيح ليتناول الطعام عنده، ولفت نظره أن سيدنا لم يغتسل أو لم يغسل يديه كالعادة المقررة عند اليهود، وهى عادة اجتماعية مألوفة وصحية، لكن اليهود حمّلوا هذه العادة معان أخرى دينيةّ، ففى نظرهم عدم الاغتسال نجاسة، ليست مجرد نقص فى النظافة، وإنما حمّلُوها هذا المعنى أنها نجاسة، ويبدو أن سيدنا قصد فى هذه المرة بالذات أن لا يغتسل قبل تناول الطعام، حتى يكون هناك مجال لدرس يعطيه لهؤلاء الناس، لأنه علم بأنهم ينتقدونه على هذا الفعل، واعتبروه مخالفة للشريعة ومخالفة للتعاليم الإلهية، وبهذا يكون المسيح موضع مأخذ وانتقاد وإتهام له بأنه يأكل بنجاسة.

وطبعا الاغتسال قبل تناول الطعام فضيلة صحية، أما أن تُحمل على معنى أعمق من هذا، فهنا سيدنا أراد أن يعطى درسا كى يبين الفرق بين عدم النظافة والنجاسة. لأن النظافة مسألة سطحية خارجية وهو غسل اليدين، حقا أن هذا مطلوب وحقا أن هذه ظاهرة صحية ومفيدة، ولكن أن يكتفى الإنسان بها ويعتبر أنه بهذا قد أرضى الله وأرضى الشريعة، هذا هو المفهوم الخاطئ الذى يحتاج إلى تصحيح، كأن الله يهمه السطح والخارج ولم ينتبهوا إلى العناية بالباطن، وهو درس يغطيه المسيح ليبين أن الباطن والمحتوى الباطنى للإنسان هو أهم من النظافة الخارجية، هذه لا تمنع تلك، إنما أن تفهم الطهارة فقط بعملية خارجية وهى غسل اليدين، هذا تشويه لمعنى الطهارة وتشويه لمعني القداسة، لأن الله قدوس والقداسة جوهرها الطهارة، والطهارة لا تكون بالغسل الخارجى من دون الغسل الباطنى للقلب وللمحتوى الباطنى من النجاسة، نجاسة الجسد ونجاسة القلب.

فهنا سيدنا له المجد يريد أن ينبه الأذهان إلى أن الطهارة المطلوبة ليست مجرد الغسل الخارجى للأعضاء الظاهرة، وإنما النجاسة، نجاسة الفكر ونجاسة القلب والشهوة الرديئة التى يشتهيها الإنسان، وبها يتنجس قلبه وفكره وإحساسه.

اصنعوا هذه ولا تتركوا تلك :

ولذلك سيدنا هنا لا يريد أن ينقض مبدأ غسل اليدين من حيث هو قاعدة صحية، ولكن يريد أن يوبخ اليهود على أنهم فهموا أن الله يرضيه فقط أن يغسل الإنسان يديه وبهذا يبدو طاهرا أمام الله.

هذا هو المعنى الذى أراد المسيح أن يوضحه مصححا ذلك التفكير العقيم، والدليل على ذلك أيضا أنه قال أنتم تؤدون العشور النعنع والشبت والكمون و........، وتركتم جوهريات الشريعة الحق والرحمة والإيمان. كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا

تلك، وهنا يبدو أرثوذكسية التعليم، اعملوا هذه ولا تتركوا تلك. فالسيد المسيح لم يهمل الاغتسال وذلك من أجل سلامة الجسد من الناحية الصحية، وحتى لا تدخل الميكروبات والأمراض إلى جسد الإنسان نتيجة إهمال هذه العادة، ولكن ينبغي أن نفهم أولا أن المحافظة على صحة الجسد ليست هي فقط التي ترضي الله، الله فاحص القلوب والكلى، قبل كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة، ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل الذي يخرج هو الذي ينجس الإنسان، لأن من القلب يخرج الشر والقتل والسرقة، من القلب تخرج، هذا هو المعنى، القلب أولا قبل اليدين، اعملوا هذه ولا تتركوا تلك، فالسيد المسيح لا يمنع غسل اليدين، إنما كان مدخل لكي يلقي هذا الدرس بالنسبة لهؤلاء الناس الذين شوهوا مفهوم الشريعة، واعتبروا أن هذا هو الذي يرضي الله، فهو يريد أن يصحح هذا التفكير ويبين أن الله

يرضيه أولا نقاوة القلب، وطهارة الضمير، وطهارة الحياة، لأن من القلب تنبع الأفكار والرغبات والشهوات، ولذلك قال لهم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الوصايا الحق والرحمة والإيمان، كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك، هذا هو التعليم الأرثوذكسى، الإثنين مطلوبين، لكن أن يكتفى بالنظرة السطحية للأمور، ويهتم جدا بنظافة الجسد فقط، ويعتبر أن هذا هو الذى تتطلبه الشريعة ويتطلبه الله، هذا خطأ وإهانة للذات الإلهية لأن الله لا يُضحك عليه، وهو فاحص القلوب والكلى، لماذا قال القلب والكلى؟ لماذا لم يقل الكبد أو الأمعاء؟ لماذا القلب والكلى؟ لم يقل الطحال أو المرارة، ولكنه اختص القلب والكلى لأن القلب هو «الطرمبه» التى تدفق الحياة، تدفع الدم فى الشرايين، ومع دفق الدم تتدفق الرغبات والإحساسات والمشاعر، أما الكلى، فلأن الكلية تتميز بكثرة مافيها من تلافيف

دقيقة جدا، لدرجة أن بعض المراجع الطبية يقولون كلام لا يستطيع الواحد أن يتصوره، يقولون أن الكليتين لو تم فردهما إلى آخرهما لأمكن أن يلفا حول الكرة الأرضية، كيف ذلك؟ هذا الكلام موجود فى بعض المراجع الطبية، هذا معناه أن الكليتين التلافيف فيها «مكرمشة» على بعضها، متداخلة داخل بعضها، لذلك ربنا قال فاحص القلوب والكلى لماذا؟ لأن الكلية ملفوفة على بعضها، فهو الوحيد الذى يستطيع أن يرى هذه الأمور الخفية، التى لا يستطيع أحد أن يراها.

النظافة للجسد مهمة ولها قيمتها، من حيث أنها نظافة وهى نافعة، وأيضا تقى الإنسان من شر الأوساخ والقاذورات والميكروبات وما إليها، كل هذا لازم وضرورى لصحة الجسد، لكن الخطأ الذى أراد أن ينبه له والدرس الذى أراد أن يعطيه هنا بهذه المناسبة وهو متعمد، دفعه أن لا يغسل يديه قبل الأكل،

لكى يلفت النظر إليه فى عدم غسله يديه ويكون هناك مجال لهذا الدرس، التعليم بالمثال، ينتهز فرصة هذا الأمر لكى يعطى الدرس المهم فى الموضوع.

وتكلم السيد المسيح عن كيف أن الكتبة والفريسيون، ينقون خارج الصحفة والكأس، والصحفة هى الطبق، بينما من الداخل مملوء نتانة وعفونة، أى منطق هذا، كيف الإنسان يبلغ به هذا الأمر أن يهتم بالخارج، خارج الصحفة والكأس ويغسلهم من الخارج ويترك العفونة والسم فى الداخل، فالأضرار الحقيقية موجودة فى داخل الكأس وداخل الصحفة، كان هؤلاء الناس علماء الشريعة، يقدمون المفاهيم على أن هذه رغبة الله، فى الوقت الذى فيه الله يرفض ذلك، وهذا ليس معناه أن الله يرفض النظافة الخارجية، ولكن أن يشوهوا المقاصد الإلهية ومقاصد الشريعة، بأنهم يحولون المعنى الجوهرى إلى معنى

لفظى خارجى، هذا مرفوض من الله، فسيدنا له السلطان أراد أن يصحح هذه المفاهيم الخاطئة وهذا التشويه لمفاهيم الشريعة.

نقاوة القلب وعمل الرحمة :

ثم يقول السيد المسيح إصنعوا صدقة، فما علاقة الصدقة بهذه النقاوة؟ الصدقة هى أعمال الرحمة، لكن أعمال الرحمة ليست هى إعطاء النقود فقط، إعطاء النقود واحدة من أعمال الرحمة، إنما أعمال الرحمة هى كل أعمال العطاء، سواء كان عطاء مادى أو عطاء معنوى، كل خدمة نجد أن الإنسان محتاج لها من أى نوع، حتى لو كانت خدمة سطحية أو خدمة مادية، أى خدمة.. إنسان محتاج لأى شئ، وهنا تختلف الخدمات للناس بإختلاف احتياجاتهم، الإنسان بقدر وجوده فى الحياة تتعدد احتياجاته وتختلف احتياجات الواحد عن الآخر، ومهمة الكنيسة أن تعمل على سد احتياجات الناس جميعا رغم

اختلافها، يجب على الكنيسة أن لا تتجاهلها وتتصور أنه يمكن سد هذه الاحتياجات بالناحية المادية فقط، لا.. إنه يقول إصنعوا صدقة، أى رحمة، أى إهتموا بالخدمة العملية، بهذا الأسلوب أنت قلبك يتنقى بعامل من عوامل تنقية القلب وهو الحنان، لأنك عندما تنظر احتياجات الآخرين تجد الحنان دخل إلى قلبك، وتشعر أنك تشفق على هذا الإنسان المتعب والمتضايق والمتألم، هذا الحنان دليل على أنك أنت تشارك سيدك، كونوا رحماء كما أن أباكم السماوى رحيم. فالرحمة تعمل وتساعدك على تنقية قلبك، التنقية ليست فقط بأنك أنت تهرب من المثيرات التى تنجس القلب، المفروض بالنسبة للشباب ولكل الناس المجربين بتجارب وشهوات ونزوات، أنه من جهة يهرب من المثيرات أو المداخل التى تدخل منها الخطيئة، ولكن أيضا هم فى حاجة إلى ناحية إيجابية مثل حشد الذهن وحشد القلب

بإهتمامات روحية، تغطى على هذه الشهوات والنزوات، ومن بينها أعمال الرحمة وخدمة الآخرين، عندما يفكر الإنسان فى خدمة غيره، أولا يشعر بهذا الاحتياج عند الآخرين، وهذا الشعور يقربك من سيدك ويقربك من خالقك لأن الله رحيم، فعندما يكون عندك رحمة تكون قد اقتربت إلى سيدك، وهذه تقربك أكثر مما تغسل يديك.

الإهتمام بالجوهر أيضا :

المهم يا أولادنا أن هذا هو الدرس الذى أراد المسيح أن يعلمنا إياه، لا أن نحتقر غسل اليدين والنظافة فهى مفيدة ونافعة للجسد، ولكن أن لا نكتفى بغسل اليدين ونترك القلب نجسا، ننقى خارج الصحفة والكأس ونترك داخل الكأس مملوء عفانة ونجاسة، ليس هذا منطق الكائنات العاقلة، ليس هذا منطق الكائنات التى تتميز بالإخلاص والحق، القلب أخدع من كل شئ

وهو نجيس، الإنسان يمكن أن يخدع نفسه بتصرفات معينة، يوهم نفسه، نعم وهذا ما نسميه بالإيحاء الذاتى، يوهم الإنسان نفسه بتصرفات معينة، يعمل تعويضاً لكى يهرب من أخطائه، يصنع تصرفات خارجية يعوض بها عن النقص الذى يشعر به من الداخل، لكن لا.. الله لا يُضحك عليه، إلتفت لنفسك ياإنسان، لا تغطى خطاياك بهذا الأسلوب، لا تغطها بورق التين، وورق التوت، لا.. كحل عينيك بكحل روحانى فتبصر، اشترى منى ذهبا مصفى بالنار كما يقول فى سفر الرؤيا، خذ منى لباس البر لكى لا يظهر خزى عريتك، إلتفت لنفسك، لا تخدع نفسك ولا تخدع غيرك، أنت تتعامل مع سيدك، وسيدك يهمه القلب أولا، فإلتفت لنفسك ولا تعش فى الخداع، إنما كن صريحا، كن مخلصا، والإخلاص يقتضيك أن تكون صريحا مع نفسك، لا تحكموا حسب الظاهر، بل احكم حكما عادلا، سيدنا قال لا

تحكموا حسب الظاهر ولا تظنوا أنى أنا احكم حسب الظاهر، لا.. ادخل يا بطرس إلى الأعماق، ألقِ شبكتك فى الأعماق تجد السمك، الأعماق، إنما الديانة السطحية الخارجية لا..، كيف ترضى سيدك وهو فاحص القلوب والكلى، تكذب على سيدك وخالقك؟ الذى ركب نسيج جسمك، يارب قد اختبرتنى وعرفتنى، عرفت جلوسى وقيامى وفهمت فكرى من بعيد، ليس كلمة فى لسانى إلاّ وأنت يارب عرفتها، هذه المعرفة فوقى لا أستطيعها، إنما أنت، أنت تعلم كل شئ، أنت الذى ركبت نسيجى، أنا لا أخدعك، لو فكرت فى نفسى أن أخدع إلهى أكون قد كفرت بالوجود الإلهى، وفى أن الله هو الذى يعرف الأعماق ويدخل إلى الأعماق، ويتطلب من الذين يتبعونه أن لا يكونوا سطحيين، إنما فى كل شئ أن يدخلوا إلى الأعماق.

العذراء الممتلئة نعمة:

بهذا نتعامل مع سيدنا بالصدق والحق لا بالباطل ولا بالكذب، هذا الدرس نافع لنا فى هذه المناسبة، بمناسبة صوم العذراء مريم.

العذراء مريم كانت هذه الإنسانة العميقة فى داخلها، ليس فى طفولتها فقط ولكن فى صباها أيضا، يقول عنها الكتاب: «أنها كانت تحفظ هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها». صبية فى نحو ١٣ أو ١٤ سنة يكون عندها هذا الإدراك، تكون متميزة بالصمت والتأمل والتفكير وتدخل إلى داخل نفسها، لو إنسانة غيرها وفى سنها كانت «تتنطط» أمام هذه المناظر الجميلة العظيمة، ملاك من السماء يحييها بتحية، لم يحيى بها رئيس كهنة «سلام لك أيتها الممتلئة نعمة» ممتلئة، ماذا تعنى هذه الكلمة، ممتلئة تعنى مشحونة نعمة، وذلك قبل أن يحل المسيح فيها، وهذا هو الذى

أهلها أن يختارها الله لهذه المهمة، كانت ممتلئة نعمة، مثل الوعاء الممتلئ، أنت ممتلئة تقوى، ممتلئة فضيلة، ومع ذلك تقول أنا أمة الرب، وبعد ما شرح لها الملاك أن هذا الحمل الإلهي لا يتعارض مع احتفاظها ببكارتها وبتوليتها الدائمة، تقول «تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي لأنه نظر إلى تواضع أمته» كلمة تواضع هنا يا أولادنا ليس بمعنى أن القديسة مريم تمدح نفسها أنها متصفة بالتواضع، لا.. هنا التواضع بمعنى الوضاعة، أنا وضيعة، أنا حقيرة، الله نظر إلى حقارتي، ليس تواضع بمعنى فضيلة التواضع، ولو أن فعلا التواضع بمعناه الحقيقي أن الإنسان ينكر نفسه على حقيقتها، ما هو التواضع؟ التواضع من وضع، أي لا يعطي الإنسان حجما لنفسه أكبر من حجمه الحقيقي هذا هو التواضع، لكن مع هذا مريم العذراء لا تقول كلمة تواضع بهذا المعنى، لا.. هنا تواضع

بمعنى نظر إلى حقارتى، الوضاعة يعنى الدونية، من أنا؟ من أنا؟ ليحدث هذا كله؟.

الشئ المدهش حقا أن صبية، فى سن ١٣ أو ١٤ سنة، لو كان حدث هذا لإنسانة كبيرة فى الفضيلة أو كبيرة فى السن، كما قلنا مثل القديسين والقديسات، إنما صبية فى هذا السن الصغير، تشعر بهذا وتشهد السماء عنها، هذه ليست شهادة قليلة، الملاك يقول لها «سلام لك أيتها الممتلئة نعمة» مشحونة، مملوءة من طفولتها طهارة، ونقاء، وعبادة، وممارسة الإتضاع، وممارسة الفضيلة، لم يخدش ذهنها شئ من النجاسة أو شئ من الشر أياكان، شحنت، هذا التعبير اليوم نستخدمه فى الكهرباء، مشحونة، العذراء مشحونة نعمة، ما معنى مشحونة نعمة؟ الكتاب المقدس يقول «دعوا الروح يملأكم»، دعوا الروح، أى لا تعطله، ممكن الروح يملأك لكن أنت لا تعطله، سلم حياتك، هذا

التسليم والتعامل والتلامس والتماس مع القوة الإلهية يعمل فيك.

التواضع يؤدى إلى الإمتلاء:

لابد ياأولادنا الصنبور أو الحنفية تكون أعلى من الحوض، الحنفية فوق والحوض تحت، بهذه الطريقة تنزل المياه من الحنفية على الحوض، لا ينفع أن يكون الحوض أعلى من الحنفية، ما معنى هذا الكلام؟ معناه أنه يوجد قوة إلهية أنا أتعامل معها، أنا أكون تحت وهى تكون فوق، وأنا أتلامس معها، فأنا أضع نفسى فى وضع المتواضع بلا مقاومة وبلا رفض، وبلا شك، وأترك عمل النعمة يدخل ويدخل وأنا أقبله، «افتح فاك وأنا أملأه» افتح، أنت لا تغلق فمك، افتح فاك وأنا أملأه، لتكن أنت الحوض ونعمة الله الصنبور والحنفية التى تنزل عليك، وبهذه الطريقة يُملأ الحوض، لا يمكن أن يكون الحوض أعلى من الحنفية، هذا هو التواضع، أفهم نفسى على حقيقتها، لا

أعطى لنفسى حجم أكبر من حجمى، إنما أفهم نسبتى إلى خالقى، نسبتى إلى سيدى، أنا العبد وهو السيد، أنا المخلوق وهو الخالق، أنا الذى داود النبى يقول عنه «أنا بهيم عندك» بهيم!! ياداود أنت ملك ونبى، نعم بهيم، ماذا تعنى بهيم؟ تعنى أنى لا أفهم، لماذا؟ لأن حكمتك أعلى يارب، أنت الحكيم وأنا اختبرت نفسى في مواقف متنوعة، وظننت فى نفسى أنى ذكى وأنى نبيه، ولكنى اكتشفت غباوتى وعدم فهمى، فأنا سلمت أمرى إليك لأنى لا أفهم شيئاً، وأنت تفهم كل شىء، «من عرف فكر الرب أو من صار له مشيرا»، أنت الحكيم يارب وأنا الجاهل، يوم أن تقولها وتقولها من قلبك تعمل النعمة فى قلبك، بدون أن تشعر، إن لم تقلها بلسانك إنك أنت لست شيئا، لا يعمل معك الروح القدس لأنك أنت متعالى، الحوض فوق الحنفية... لا يعمل معك، إنما يوم أن تسلم حياتك لسيدك، تضع قلبك وتتعامل معه من الباطن وبالعمق، لا بالسطحية ولا بالظاهرية،

وليست المسألة غسل الأيدى، ولكن المسألة إنى أنا أحرص على قلبى من أن يدخل فيه فكر شرير، أو ميل أو نزعة تتعارض مع الطهارة الحقيقية، «فوق كل تحفظ احفظ قلبك»، أنت عليك الواجب، لا تقل ربنا يعمل، لا.. لابد أن تعمل أنت أولاً، فوق كل تحفظ احفظ قلبك، أنت يا إنسان، لا تنكر أنك أنت تقدر أن تعمل، على الأقل نيتك وقصدك، وأنك أنت تحرس نفسك، احرس نفسك من العوامل المفسدة لحياتك، اقفل الباب أمام الأشياء المفسدة والمنجسة، اهرب منها، الذكى يبصر الشر فيتوارى، هكذا قال الحكيم «الذكى يبصر الشر فيتوارى» هذه حكمة وليست ضعف، ليست نقص فى الشخصية، اهرب، ولكن فى نفس الوقت هذا العقل لابد أن يشحن، خزان اخزن فيه المعانى الصالحة، بالتأمل والقراءة، «عظوا أنفسكم كل يوم، مادام الوقت يدعى اليوم» على الإنسان أن يقلب التعاليم التى

بداخله، لو كان هناك سيدة تطبخ وتركت الوعاء بلا تقليب يلزق الطعام بالوعاء، فتحتاج من وقت لآخر إلى تقليب، هذا التقليب يمنع الطعام من أن يلزق بالوعاء، وما أهميته هذا؟ أهميته أن كل الطعام يكون السواء بدرجة واحدة، فأنت لكى تكون واحداً ولا تكون مبعثراً أو مشتتاً أو أشلاء ممزقة، تحتاج من وقت إلى آخر أنك تقلب نفسك، قلب التعاليم التى أنت سمعتها، انظر نفسك من الداخل، وهذا يحتاج إلى نوع من أنواع السكون، أن الإنسان يقفل على نفسه أحيانا.

اغلق حواسك :

سيدنا يقول «إذا أردت أن تصلى اغلق بابك» ماذا يعنى «اغلق بابك»، الباب هنا ليس فقط باب الحجرة الداخلية، ولكن أيضا الحواس وهى أبواب المعرفة، الأذن، والشم والذوق واللمس، والنظر، الخمسة حواس المعروفة، أعطى لنفسك فرصة وأغلق

الحواس، الفكر الخاص بك يكون مركز، وهذا التركيز يساعدك على الإنارة الداخلية، مثل يا أولادنا عندما يكون عندك عدسة ونضعها تحت الشمس، المهم أن نثبتها، فتجد أن الشمس العظيمة التى تملأ السماء والأرض تدخل فى بؤرة العدسة، فتجد أنك يمكن أن تشعل ورقة أو أى شئ، كيف؟ لأن الشمس الكبيرة ببهائها دخلت داخل البؤرة فحدث تركيز، ولكن بشرط أن لا تهتز، بشرط الثبات والتركيز، هكذا النفس البشرية بالتأمل، بالتفكير والهدوء وإغلاق الحواس، يدخل الإنسان داخل نفسه فيحدث الإشراق، ماذا يعنى الإشراق؟ يعنى نور الله يدخل داخل هذه النفس، لأن هذه النفس على صورة الله، قبس من الألوهة، هذه الجوهرة الغالية التى أخذها كل واحد منا من السماء، الروح الإنسانية، هذه الجوهرة أعطيها فرصة، فرصة للهدوء والسكون والسلام، والبعد عن المثيرات والأشياء التى

تبعثر النفس، وتشدك ناحية اليمين والشمال، والشوائب المختلفة التى تشدك من هنا وهناك، لا..، اهدأ واغلق بابك فتجد النور الإلهى يدخل إلى البؤرة، بؤرة النفس، تنير نفسك، تجد نفسك فهمت أشياء لم تفهمها من قبل طول عمرك، وهذا نتيجة أنك وضعت نفسك فى وضع الهدوء والسكون، وهذا هو الكلام الذى يقوله الناس الروحانيون، لا يصلون إلى هذه الروحانية إلا عن طريق فترات الهدوء والسكون، سيدنا نفسه، عندما كان يجد تلاميذه منفعلين كان يدعوهم: تعالوا إلى موضع خلاء، وعندما تجمع الناس عليه فى البرية وصنع معجزة الخمس خبزات والسمكتين، يقول: أمر تلاميذه أن يسبقوه إلى العبر إلى أن يصرف الجموع، ماذا يعنى بكلمة يصرفهم، يعنى بعد الأكل هناك طلبات للناس، مثل ما يحدث للكهنة بعد القداس، هذا يطلب طلباً وذاك يقول شيئاً معيناً، فسيدنا بعد أن صرف

الجماهير يقول الكتاب المقدس صعد إلى الجبل وحده، حتى من غير تلاميذه، لوحده، وذلك لكى يرسى هذه القاعدة لنا نحن، إن كنا خداماً أو أفراداً، الإنسان منا فى حاجة إلى الهدوء، وكنيستنا الجميلة ترتب لنا فترات الصوم، بقصد أن هذه الفترات فترات تعبدية، نحن عندنا سبعة أصوام عامة، وهى صوم الميلاد وصوم يونان والصوم الكبير وصوم العذراء و...، إلى آخر هذه الأصوام العامة، ثم الأربعاء والجمعة، كل هذه الأصوام المقصود منها أن تكون فترات تعبدية، فمن الخسارة أن تفوت علينا هذه الفترة دون أن ننتفع بها، لأن نوع الطعام له أهمية، لأن اللحوم تعمل شغب فى الجسم وشغب فى العقل، لكن النباتات تعطى الدم الهادئ، لذلك تجدوا الحيوانات آكلات اللحوم متوحشة، قاعدة عامة بلا إستثناء، لا يوجد استثناء واحد، الحيوانات آكلات اللحوم متوحشة، والحيوانات آكلات النبات هادئة، مثل البقرة، والجاموسة، والثور، والفيل، ثم الطيور

الدواجن، والفراخ، والحمام، والعصافير إلى آخره، لكن الطيور التي تأكل لحوم مثل النسر والصقر والبومه هذه متوحشة، لذلك يسمونها الطيور الكواسر، إنما الحمام واليمام والعصافير هادئة، تجد الفيل بهذا الحجم الكبير ويركب عليه طفل صغير ويلعب عليه ولا يحدث شئ، وكلب صغير يخاف منه الرجل الكبير، كلب لأنه من آكلات اللحوم، لكن الفيل مع هذه الضخامة لا يؤذي أحداً، قاعدة عامة وبلا استثناء الحيوانات آكلات اللحوم متوحشة، الحيوانات آكلات النبات هادئة، فهذه فرصة ياأولادنا، هذه حكمة، حكمة كبيرة جدا في كنيستنا أننا نعيش بعض فترات على الأقل في السنة نباتيين، وهذا يساعد على الهدوء النفسي، وعلى عدم العصبية وعلى عدم الغليان وعلى عدم القلق، يساعد على نمو الروح أيضا وعلى استشراق الروح، وعلى الاستشراقات الإلهية في قلب الإنسان وفي روحه.

سيدتنا العذراء كانت هذه الإنسانة العميقة منذ طفولتها المبكرة، صدقوني أنا استعجب جدا جدا عندما أتأمل في العذراء، في هذه السن المبكرة يكون عندها هذا العقل، وهذه الحكمة كلها والهدوء كله، حياتها كلها، وهنا في مصر وما رأته وما تحملته، ثم مأساة صلب المسيح، ما هو تصرف العذراء، لم ينسب إليها أي تصرف أو كلمة، لم تشتم أحدا ولم تصنع شيئا، ولم تحكم على أحد، ولا قالت أي كلمة، كانت تحت الصليب وترى الآلام كلها، وتتألم، لا يوجد أحد تألم مثل آلامها، ومع ذلك لم تتصرف أي تصرف يحسب ضدها، كل تصرفاتها الحكيمة العاقلة النادرة لأنها إنسانة من الطفولة ربت نفسها، ربت نفسها على أنها تهتم بالأعماق، بالجوهر لا بالمظهر ولا بالسطوح، فالسيدة العذراء تقف أمامنا ونحن في هذه المناسبة الكريمة صوم العذراء، مثلاً وقدوة ونموذجاً للحياة الهادئة،

والحياة العميقة والتقوى الصادقة غير المخادعة، هذه الإنسانة الهادئة، العلاقة العميقة بينها وبين سيدها.

انظروا، تأملوا العذراء فى حياتها، تجدون العمق، التقوى، المحتوى الباطنى، الإمتلاء بالفضيلة والنعمة «نساء كثيرات نلن فضلا أما أنت ففقت عليهن جميعا»

سموت يا بتولة فى العذارى .·. على كل الآلام علا وفقت

خلقت درة لا عيب فيها .·. كأنك مثل ما شئت خلقت

العذراء تقف أمامنا نموذجاً للحياة الطاهرة النقية، عذراء العذارى، طاهرة الطاهرات، صاحبة الديانة العميقة، الديانة الصادقة، الروحانية الصادقة غير الغاشة.

